

## المحاضرة الثالثة

### كتاب عيار الشعر لابن طباطبا وعملية الإبداع الشعري

عد كتاب عيار الشعر من أهم الكتب النقدية التي كتبت في ذلك العصر ، فقد تميز ببراءة العطاء النقدي الصادر عن رجل متخصص مجرب ، تحدث عن الشعر على ضوء تجربته الشعرية ومعاناته في الإبداع الشعري على عكس باقي نقاد عصره الذين كانوا علماء في الشعر - عدابن المعتز الشاعر - بل أكثرهم علماء اللغة، لا يهتم من الشعر إلا صياغته .

تفكر وتدبر ابن طباطبا في ألفاظ الشعر، ومعانيه. ويعتبر ابن طباطبا من أهم النقاد النظريين الذين حملوا لواء في ماهية الشعر ووظيفته، فهو يختلف في نهجه وفي تناوله لموضوعاته عن من سبقه من النقاد في دراسة الشعر ونقده. وتناول في كتابه الحديث عن الشعر وأدواته وعتقافة الشاعر ومواصفاته، ثم تحدث عن كيفية نظم الشعر ومراحل النظم ، وقسم مراحل النظم إلى أربع. ثم أخذ الكلام عن الشعر وألفاظه ومعانيه ، وتحدث عن خصائص شعر المولدين ، ثم تحدث عن تأثير الشعراء ببعضهم البعض ثم جعل الصدق هو مقياس التفاصيل . ثم تحدث عمداً يستحسن ، من شعر عصره وسبب هذا الاستحسان ، وتحدث عن طريقة العرب في التشبيه وأدوات التشبيه ووظائفها.، وهو في حديثه هذا يعكس شخصية الناقد المتذوق البصير بالشعر، وضروره ، وقد اعتمد ابن طباطبا في عياره على الدراسة الموضوعية التي تهدف إلى التعرف على ماهية الشعر ، حقيقته وجوهره ، وقد تم حديثه عن وعى بفلسفة الفن عامة، والنظر الجمالي للشعر خاصة أما في نظرته لوظيفة الفن فقد كان يعتد مد على المبدأ الأخلاقي، في التفرقة بين الحسن و القبيح.

#### رابعاً : المنهج في كتابه عيار الشعر:

اعتمد ابن طباطبغا في كتابه على منهج فني رائع وفي حديثه عن طريقة العرب في التشبيه عن المثل الأخلاقية عندهم ، وبناء المصداق والهجاء ، وقد اعتمد في حديثه هذا على أكثر منمنهج من مناهج الدراسة العلمية الدقيقة ، ففي حديثه عن الشعر وأدوات والقريحة والعقل ، واللفظ والمعنى ، و اعتمد على المنهج التاريخي ، و المنهج النفسي في حديثه عن أثر الشعر الجيد ، و هذا يعنى أنه اعتمد على المنهج التكاملي في بحثه عن عيار الشعر.

#### خامساً : أهم القضايا التي عالجها المؤلف

١. ابن طباطبغا مفهومه عن الشعر ، وميز بينه وبين سائر فنون الأدب المنثور ، حيث قال " الشعر - أسعدك الله-

كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم ، بما خص به منالظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع ، وفسد على الذوق ، ونظمه معلوم حدود ، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر ، بالعروض التيهي ميزانه ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة.

٢. نجد ابن طباطبغا يفرق بين الشعر والنثر من ناحيتين الوزن ، والطبع والذوق. الصحيح، فإذا كان الوزن هو الفارق الشكلي الذي يميز بين الشعر والنثر فإن تعلم العروض، لا يوجد شاعراً لأنه لا بد أن يتوفر للشاعر أولاً الموهبة وسلامة الذوق الشعري، وعندها لا يكون الشاعر محتاجاً إلى دراسة العروض لأن الشعر سيتدفق من قلبالشاعر موزوناً دون

تعلم الأوزان. يقرر ابن طباطبغا أن الشعر صنعة كباقي الصناعات، وصنعة الشعر تحتاج إلى أدوات يجب على الشاعر أن يكون على وعي بها ، يقول:"وللشعر أدوات يجب اعدادها قبل مراسه.

٣. التوسّع في علم اللغة والبراعة في فهم الإعراب .والرواية لفنون الآداب ، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ، ومناقبتهم ، والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر.

٤. والتصرف في معانيه في كل فن قالته العرب فيه ، وسلوك مناهجها في صفاتها ، ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها والسنن المستدلة منها وتعريضها وتصريحها ، وإطنابها وتقصيرها ، وإطالتها وإيجازها ولطفها وخلابتها وعذوبة ألفاظها ،

وجزالة معانيها وحسن مبادئها ، وحلاوة مقاطعها ، وإيفاء كل معنى حظهم العبارة وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ حتى يبرز في أحسن زى وأبهى صورة ،

واجتتاب ما يشبهه منه من سفساف الكلام وسخيف اللفظ والمعاني المستبردة والتشبيها بالكاذبة والإشارات المجهولة ، والأوصاف البعيدة ، والعبارات الغثة ، حتى لا يكون متفاوتا مرقعا ، بل يكون كالسبيكة المفرغة ، والوشى المنمّم والعقد المنظم ، واللباس الرائق ، فتسابق معانيه ألفاظه .

٥. قضية اللفظ والمعنى :

جعل ابن طباطبا استساغة الفهم للشعر منوطة بتوافر مقومات ثلاثة هي : جمال الوزن ووحدة المعنى وحسن اللفظ ، وهذا الكلام يوحى ان ابن طباطبا من الذين يسوون بين اللفظ والمعنى من نقادنا القدامى ، بل انه يصرح في كتابه بأن " الكلام الذى لا معنى له كالجسد الذى لا روح فيه " ولكن المتأمل لموقف ابن طباطبا ينتهى الى ان المعانى فى الشعر لا تحتل من اهتمامه ما تحتلّه الألفاظ والصيغات ، فجوهر نظريته فى الشعر انه لون من الصياغة والتأليف وعملية الابداع الشعرى لا تبدأ الا حين يبدأ الشاعر فى صياغة هذه المعانى صياغة شعرية ، فحيث فقط تتحول هذه المعانى - بفضل الصياغة - الى شعر ، ويؤكد هذا انه فى السرقات الشعرية يرى ان الذى يصوغ المعنى صياغة افضل يكون اولى به من مكتشفه الاول.

وخلاصة موقف ابن طباطبا من هذه القضية انه يرى ان اللفظ والمعنى عنصران جوهريان من عناصر الشعر ، لا يمكن الاستغناء بجودة احدهما عن جودة الاخر .

## سادسا : مراحل بناء القصيدة عند طباطبا وهي أربع مراحل.

١. مرحلة تكوين الفكرة، ومخاضها في الذهن.

٢. مرحلة اختيار الصورة الشعرية.

٣. مرحلة صياغة القصيدة.

٤. مرحلة التثقيف والتهديب.

## سابعا : ماهية الشعر عند ابن طباطبا - رحمه الله تعالى-

أما ماهية الشعر : فهو - عند ابن طباطبا - عملية صناعية يلعب فيها العقل الدور الأساسي؛ لذلك نجده يفصل بين شكل العمل الشعري ومحتواه . أما التمايز في الشعر فإنّه يرجع إلى صورته الشكلية فقط ، فالشعر " مختلف كاختلاف الناس في صورهم ، وأصواتهم ، وعقولهم ، وحظوظهم وشماثلهم وأخلاقهم ، فهم متفاضلون في هذه المعاني .

وكذلك الأشعار هي متفاضلة في الحسن على تساويها في الجنس ، وموقعها من اختيار الناس إياها كمواقف الصورة الحسنة عندهم . من هنا نلاحظ أن الصورة في الشعر هي المبدأ الذي أخذ به ابن طباطبا في تقديمه قصيدة على أخرى ، لذلك فهو يلح على الاتساق الشكلي بين عناصر الصورة في الشعر ، لذلك فإن القصيدة الجيدة هي التي تتوافق عناصرها الشكلية وتتجانس لأن أحسن الشعر - عنده - هو " ما ينتظم فيه القول انتظاماً يتسق به أوله مع آخره على ما ينسجم قائله قائله فإن قائله بيتاً على بيت دخله الخل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقص تأليفها .."

## ثامنا : ملاحظات وتأملات حول كتابه (عيار الشعر) في النقد.

أولا : أنه حصر مراحل بناء القصيدة في أربع.

ثانيا : أنه توصل في بحثه عن القافية و أقسامها السبعة، ويعتز بما توصل إليه، كما يقول: هذه حدود القوافي لم يذكرها أحد ممن تقدم.

ثالثا : كلامه عن ضروب التشبيه جديد، لم يسبق إليه أحد.

رابعا : ظهر نقد الأدب العربي في تحليله و تعليله بصورة واضحة.

خامسا : حديثه عن الوحدة الفنية جديد.

سادسا : جعل الشيء الجيد هو الذي يؤدي إلى متلقيه معنى حكيما أو أخلاقيا أو مجموعة من الأفكار الواضحة.

سابعا : يؤخذ عليه عدم التنسق والترتيب في عرض الأفكار على منوال الشعر، ممكن يعرض قضية أثناء عرضها يتحدث عن شيء آخر ثم يعود في القضية الأولى.